



الديناصور يتلو آخر اعترافاته

قصة: حسام الرشيد/ الأردن

وقبل أن يشرع العجوز بالحديث تناول الرسالة، وبدأ يقلبها باشمئزاز، كانت عيونهم مثل طيور ضارية تفرّ من محارها لتلتصق بتلك الكلمات القليلة على الورقة، فاشتّموا من حروفها رائحة الموت الذي يحدق بأبيهم، وشعروا لحظتها أنهم ينوؤون بحمل ثقيل، من هذا الذي يهدّد أباهم بالقتل؟ هل هو جاد بتهديده؟ أم أنه أراد أن يلهو معه.

ومضى العجوز يتأمل وجوه زوجته وأبنائه، وثمة اسوداد التصق حول عينيه، أنفاسه اللاهثة أخذت تتواتر، كأنها أنفاس خيل في ساحة سباق، صمت ماجن لم ينحسر بعد عن شفّتيه، وكانت الزوجة بعينيها المصوّبتين على وجهه، تحاول أن تتكلم، ولكنها كزّت على شفّتيها وآثرت أن تصمت.

وَصَلَّتْهُ ثلاث رسائل تهديد بالقتل في غضون ثلاثة أيام.

تململ العجوز في جلسته أمام زوجته وأبنائه، وهو جالس على الكنبه العريضة التي تتصدّر الصالة، مرخيًا ذراعيه على مسنديها المتهاكين، وقد تعلّقت نظراته بنظرات العائلة من حوله، وها هو الخوف قد تهافت عليهم، فظهرت أعراضه على الوجوه المصفّرة والنظرات الشائثة. دعاهم العجوز لهذا الاجتماع على غير عادته، كانت آخر رسائل التهديد مُلقاة على الطريزة المجللة بقماش أزرق مخزّم الحواف، مكتوبة بخط اليد وبلا توقيع، بدت مجرّد ورقة منتزعة من دفتر (نوت بوك)، كتبها صاحبها على عجلة من أمره، وألقاها على مدخل الشقة في غلالة من الظلام وانصرف.

قال العجوز وعيناه محدقتان في الشارع:

- منذ... منذ يومين.

قال الابن الأوسط وقد انتفض واقفًا في تفلّت أهوج:

- لو أخبرتنا لجعلناهم حديث أهل الحارة.

قال الابن الأصغر:

- علينا أن نراقبهم عن كثب.

أخبرهم العجوز أنه رأى ثلاثة من الرجال مشوا من ناصية الشارع نحو عمارتهم، كان ذلك مع غبش الصباح الفضي، عيناه ثابتا على متابعتهم، لكنهم اختفوا فجأة، وفي مساء ذلك اليوم وجد رسالة التهديد الأولى على مدخل الشقة.

الزوجة والأبناء استباحهم الخوف ممّا هو آت، ولا سيما أنّ العجوز قبل تقاعده، كان رجل أمن لا يشقّ له غبار، كنمر ضارٍ كان يلاحق المجرمين ويلقي القبض عليهم، وقد عكف منذ أشهر خلت على كتابة مذكراته، وفيها سيتلو اعترافاته كشاهد على زمن مضى. الزوجة والأبناء اعتقدوا أنه ربما تسرّب خبر هذه المذكرات، إلى هؤلاء المجرمين فجمعوا أمرهم على قتله، قبل أن يدفع بمذكراته إلى النشر، فيفتضح أمرهم.

عاشت الأسرة في صراع مرير، رسائل التهديد استلّت النوم من عيونهم، الزوجة جعلت تُرقي زوجها كلما أوى إلى فراشه، بأن يحفظه الله من كل شر، والأبناء لم يغمض لهم جفن، كلما حدثت قرعة على مدخل الشقة، انتفضوا من فراشهم، وهرعوا إلى باب الشقة والخوف يتربّص بهم.

بجياذ بارد ألقى العجوز الورقة على الطريزة، من ثانيا تجاعيد وجهه ثمّة عرق ساخن يقطر من أسفل ذقنه ذات الشعيرات البيضاء النابتة، فارتخت نظراته وهو يضطجع بكوعه على المسند الأيمن للكنبة، وما لبث أن حكّ تلك الانفراجة اللحمية بين شفته العليا وأرنبة أنفه الشبيه بحبة كيوي ذابلة.

وقال وهو يرسم بسبابته دوائر وهمية:

- هذه ليست رسالة التهديد الأولى.

أبناؤه الثلاثة احتواهم السخط على صاحب الرسالة المجهول، تمنّوا لو يظفروا به ويمزقونه بأظافرهم، وهو ماضٍ في ما سوّلت له نفسه الإقدام عليه، فلم يرسل رسالة واحدة ويدير ظهره، بل أعقبها باثنتين.

قال أكبر الأبناء بصوت ناغم:

- سنبلّغ عنه الشرطة.

قال الأوسط:

- ليكن قصاصنا بأيدينا.

قال الأصغر:

- لنتنظر، ربما توقّف عن إرسال رسائل التهديد.

وهنا رمى العجوز الورقة على الطريزة، ونهض من مكانه، وقف بجانب النافذة، وانكأ بمرفقيه على حافتها الرّخامية، يراقب بعينين صقريّتين الشارع أمام البناية، التفت نحوهم وقال:

- لقد رأيتُ غرباء.

وهنا التفت إليه أكبر الأبناء وقال:

- متى رأيّتهم؟

من شق الباب الموارب، وكانت المفاجأة التي
دحرجت عينيه من محجريهما، حين رأى والده
العجوز يتَّجه نحو باب الشقة، وهو يتلَفَّت
حواليه في حذر، وسرعان ما انتزع من جيب
بيجامته ورقة بيضاء، دسّها تحت باب الشقة
وغاب في الظلام ■

وفي إحدى الليالي وقد أوشكت الأسرة أن تنسى
أمر رسائل التهديد، قرصت أذن الابن الأكبر
وهو على مشارف غفوته الأولى، ووقَّع خطوات
في الشقة، كان الظلام مسبلاً لونه الأسود،
مال الابن بجذعه عن طرف السرير، منسرق
الخطى مضى نحو باب غرفته، وأطلَّ برأسه

